كـربـلاء والـبـعـد الإنـسـانـي

مرقد الامام الحسين (ع)

محمد صادق جراد

يمكننا القول بأن الثورة الحسينية قد أطلقت منظومة إنسانية ذات تأثير سحري على الضمير الإنساني ويمكن ملاحظة ذلك عبر قراءة متأنية للملامح العامة للبعد الإنساني لهذه الثورة وتأثيرها على المتلقي ومن خلال دروس التضحية والإيثار والفداء التي سطرها أبطال هذه الثورة باختلاف أعمارهم وانتماءاتهم وألوانهم في سبيل إصلاح الأمة وإطلاق كلمة لا للطغاة الذين تحكموا بمصير الشعوب.

ونستطيع القول بان نهضة الإمام الحسين في محتواها الفكري والعقائدي وفي منهجها الذي يؤطرها هي إلهية وإنسانية من حيث الهدف الذي تتحرك من خلاله لتحرير الإنسان من قيود الظلم التي وضعها الطغاة بعد انتكاسة القيم التي أصابت المجتمع الإسلامي والإنساني. لذلك جاءت هذه الثورة التي تهدف إلى تصحيح المسار ومعالجة الانحراف وتحرير الإنسان من الممارسات الانحرافية والظلم الذي كان يمارس ضده من قبل السلطة..

ونستطيع تأكيد هذه الحقيقة من خلال قراءة بعض آراء المفكرين الغربيين المتأثرين بالثورة الحسينية أكثر مما تأثر بها بعض أبناء المجتمع الإسلامي فلقد قال الآثاري الإنكليزي وليم لوفتس: ((لقد قدم الحسين بن علي أبلغ شهادة في تاريخ الإنسانية وارتفع بمأساته إلى مستوى البطولة الفذة.))

وقال المستشرق الألماني ماربين: ((قدم الحسين للعالم درسا في التضحية والفداء من خلال التضحية بأعز الناس لديه ومن خلال إثبات مظلوميته وأحقيته، وأدخل الإسلام والمسلمين إلى سجل التاريخ ورفع صيتهما. لقد اثبت هذا الجندي الباسل في العالم الإسلامي لجميع البشر إن الظلم والجور لا دوام له. وان صرح الظلم مهما بدا راسخا وهائلا في الظاهر إلا انه لايعدو أن يكون أمام الحقيقة إلا كريشة في مهب الريح.))

ولقد قام الإمام الحسين بالثورة على الواقع الفاسد ليعمل على إعادة رسم شخصية المؤمن السياسية والدينية والاجتماعية بعد أن كاد المجتمع الإسلامي أن يفقد هويته وحريته وروحه النضالية بفعل الحكم الأموي وممارساته التسلطية والاستبدادية التي تجسدت باستئثار هذا النظام بالسلطة وضربه جميع أشكال العدل والمساواة والعودة لعصور الظلم في الجاهلية واختفاء أي اثر للمفاهيم الإنسانية التي جاء بها الإسلام ليتحول المجتمع إلى جاهلي الجوهر وإسلامي المظهر.

ولقد أدرك الإمام الحسين بان الأمة أصبحت تحت تأثير عوامل سلبية كثيرة أوجدتها السلطة الأموية أدت إلى خضوعها واستسلامها للشيطان وابتعدت من خلالها عن مبادئ وقيم الإسلام الحنيف الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فسادت ثقافة المجون وإباحة الملذات والمحظورات وابتعد المجتمع الإسلامي كثيرا عن الله فكانت الحاجة كبيرة وملحة لصوت وثورة تعمل على إيقاظ الضمير الإنساني من اجل عودة الفرد والمجتمع إلى جادة الحق.

ومن اجل ذلك خرج الحسين(عليه السلام) قبل أن يبلغ هذا الخطر أطوارا يصبح القضاء عليه مستحيلا وقبل أن تستكين الأمة للظالم وتركن للباطل وحينها لن تتمكن كل التضحيات من تغيير الإنسان.

ولولا ثورة الحسين وواقعة كربلاء لصار هذا المجتمع وهذا الفرد المشوش عاكسا سلبيا للمجتمع الإسلامي وسيتحول سلوكه إلى سيرة وتاريخ يعكس حضارة الإسلام.

وهكذا بقيت هذه الثورة حية تعكس القيم النبيلة وتمنح البشرية إمكانية التفاعل مع التاريخ واخذ العبر للاستمرار في العطاء في الحاضر والمستقبل من خلال رسمها لطريق التضحية والنضال لكل المستضعفين في الأرض بوجه الظالمين، لذلك وجدنا أن الكثير من المفكرين وقادة الثورات في العالم جعلوا من ثورة الحسين نبراسا لهم نهلوا من نورها واستلهموا مبادئها وقيمها فنجحوا في الوقوف بوجه الطغاة على مر العصور.

عن مفهوم الأكثرية.. والتوافق

د. مهند البراك

منذ سقوط دكتاتورية صدام، ظهر العديد من المفاهيم و المسميات للعملية السياسية وآلياتها، و يزداد تبادل تلك المصطلحات في وصف ما يجري بكونه (ديمقراطيا) رغم الظروف الشائكة التي تمر بها البلاد و تناحر قواها المتنفذة، في وقت تنتظر فيه أوسع الجماهير إجراءات عملية تخفف من معاناتها الأمنية على الأقل.. و ليس إجراءات لغوية إنشائية يحار في معانيها و المقصود منها، آخرها مصطلحات "حكم المشاركة" إلى "حكومة الشراكة" ثم "حكومة أكثرية"..

و من المعلوم إن مبدأ "الأكثرية والأقلية"، هو مبدأ (١) ظهر وعُمل به منذ عهود تأريخية قديمة قبل ظهور الأديان، و تواصل العمل به منذاك بمسميات ناسبت وتناسب ثقافة و مُثُل تلك المراحل في إطار السعي لتحقيق عدالة اجتماعية . . خاصة بعد إن تحققت به انتصارات كبرى أثبتت جدواه وفائدته سواء للشعوب المحكومة أو لدول الحضارات الصاعدة التي عزّزت العمل به من جهة، ووضعت له أسسا و قواعد تصونه من الاستغلال و من التلاعب به وفق الأهواء.

فأخذ المبدأ يُطرح على أساس البرامج المدعو لها، سواء كانت برامج مرحلية أو برامج لوضع حلول لقضايا مصيرية و لقضايا ملتهبة كبرى لصالح الشعب.. بتحكيم تشريعات حكم أو كتاب مقدس تأريخياً، أو بتحكيم نظريات حكم، ثم تحكيم دستور يصاغ من قانونيين و سياسيين و رجال دين وعيون مجتمع، من المشهود لهم بالكفاءة و الحكمة و نظافة اليد والإخلاص لقضايا الشعب وقضية الضعيف.. دستور يحصل على موافقة الشعب، لتظهر مفاهيم جديدة في سياق تطبيقه أثبتت وتثبت أن مبدأ "الأكثرية و الأقلية" هو مبدأ نسبي مرتبط بأداة تحكيم متفق عليها. أظهرت أيضا مفهوم "الأقلية الصائبة" المستندة إلى تلك الأداة.. الدستور.

والدستور الذي صيغ من أطراف العملية السياسية وأقرّوا الاحتكام إليه باتفاقهم و ما أجمعوا و توافقوا عليه و قاموا به، فإن الخروج عنه بلا إجماع و لا مسوّغات قانونية معتمدة في التوافق هو خروج عن الإجماع التوافقي على الدستور، ونتائجه صراع مع الأطراف الأخرى.. وعلى ذلك يرى متخصصون بأن إطلاقية العودة لمبدأ "الأغلبية والأقلية" أنف الذكر و تحديداً تعبير (حكومة الأكثرية) لاتكون صحيحة إن لم تستند إلى ما يحكّم ذلك في الدستور، و إلا فان إطلاقه قد لايعني إلا تظاهرة سياسية لتمرير قضية ما.. أو لما يحذّر آخرون من أن ذلك يؤدي إلى انفراد بالحكم و عودة إلى حكم الدكتاتورية بمسمى جديد، خاصة إن الأسس الاجتماعية و الفكرية للدكتاتورية و تشويهاتها لاتزال قائمة و قوية.

و مايزيد من مخاطر ذلك الصراع هو قيام العملية السياسية على أساس المكوّنات الديموغرافية (الهويات العرقية و المذهبية والدينية)(٢) و ليس على أساس الفكر والبرامج السياسية والاقتصادية والاجتماعية.. علماً بان الدكتاتورية لم تسقط على يد مكوّن بعينه ليكون له حق أعلى من غيره، رغم النضال الشاق لكل المكونات في إطار أحزاب معارضة الدكتاتورية و تقديمها أغلى التضحيات من اجل حقوق جميع المكونات العراقية في الحياة والحرية، الذي أدى إلى تكاتفها في بداية العملية السياسية، وسبّب التعدد الحزبي و المصلحي في كل مكوّن بعدئذ (سواء كفكر ووجهة سياسية أو مصالح بما فيها الضيّقة..).

الأمر الذي يجعل المكوّن الديموغرافي. العرقي، الإثني، الديني، المذهبي... ستارا لمرور العديد من الصفقات بلا رقيب حقيقي و بلا أجهزة تدقيق دستورية فاعلة تحاسب على درجة التزام كلّ مكوّن من مكونات العملية السياسية و ماحققه من وعود لناخبيه.. وعلى ذلك فان المطالبة بالأكثرية على أساس القوى المكوناتية الديموغرافية التي أقامتها المحاصصة و شوّهت بها المواطنة المتساوية و عطّلت أنواع الكفاءات الوطنية، هي ليست أكثر من ميل لدكتاتورية مكوناتية ديموغرافية من نوع جديد، رغم نضال جميع المكوّنات الشاق ضد دكتاتورية صدام.. ومحاولة للاستقواء بغطاء المكوّن الأكبر بمحاولة جرّه لتأييدها.. و كأنما هو عودة إلى زمان قبائل الجاهلية الأولى.

---

١. كمبدأ اجتماعي سياسي قانوني.

٢. يرى إستراتيجيون عسكريون، إثنيون، اجتماعيون و علماء نفس أن نظام المحاصصة الطائفية الذي أقامه الحاكم الأميركي بريمر في العراق إثر سقوط دكتاتورية صدام، كنظام (تعايش مذهبي) في حساب الصراعات و التوازنات الإقليمية.. أريد منه عملياً إبعاد العراق عن الصراعات الإقليمية باستنزاف طاقاته الفنية و العلمية و الثقافية و البشرية و العسكرية داخله، في صراعاته الطائفية الداخلية، و هو محاولة لجرّ القضية القومية الكردية العادلة إلى الصراع الطائفي.

قرطاس

أحمد عبد الحسين

شرفة بوتزاتي

في قصة قصيرة للكاتب الإيطاليّ الأشهر بوتزاتي يقف رجلٌ وحبيبته على شرفة مطلّة على حديقة، الليلة صيفية مقمرة والهدوء يعمّ المكان حيث لا يسمع صوت في الأرجاء كلها غير صوت الرجل يهمس في أذن حبيبته: يا للسلام، يا للهدوء، يا للسكينة.

لكنْ سرعان ما تهبط كاميرا "بوتزاتي" إلى الحديقة، لنرى ما يحدث على عشبها: قطة سوداء التهمتْ فأراً، صرصار أطبقِ بفكه على صرصار أصغر منه، بومة التقطتْ بمخالبها جرذاً، أفعى صغيرة لدغتْ سنجاباً، آلاف الزباني والأشداق والأسنان كانتِ تقيم حفلة دموية غير مرئية أو مسموعة، في صمت رحمانيّ مطبق لا يُسمع فيه غير صوت الرجل وهو يعلن امتنانه للعالم: يا للسلام، يا للسكينة.

قبل أيام صعد رئيس الوزراء نوري المالكي المنبر وأعلن إننا أكثر الدول استقراراً في محيطنا الإقليميّ، كان صوته ينساب من شاشة التلفزيون ملؤه امتنان للمقادير التي جعلتنا الدولة الأكثر أمناً وسلاماً من سوانا، مع قسمات وجهه المرفوعة كصلاة شكر للربّ الذي منحنا هذا السلام، وتحت، في حديقة بوتزاتي، أعني في الشريط الإخباريّ كان يحدث ما يأتي: مخطط لتفجيرات في الحرية والشعلة، العثور على سيارة فيها أسلحة كاتمة، انفجار سيارة غربي بغداد وإصابة ستة مدنيين، نجاة عضو مجلس محافظة بغداد من محاولة اغتيال ومقتل حمايته، نجاة معاون مفتش الداخلية، استشهاد أربعة وإصابة تسعة في سوق بحيّ القاهرة، إصابة شرطيّ وثلاثة مدنيين في انفجار عبوة، تحرير طفلة "٣ سنوات" من مختطفيها، مقتل شخص وجرح ثلاثة في الموصل، نجاة عضو مجلس محافظة ميسان من محاولة اغتيال، إصابة شرطيّ في نينوى، إصابة خمسة مدنيين بينهم امرأة في ديالى، انفجار عبوة على سيارة شرطة في الفلوجة، إبطال عبوة في الشرقاط، اشتباكات بالحجارة بين طلبة تركمان وكرد في كركوك.

كان الشريط مأدبة دموية لاشيء فيها يذكّر ولو من بعيد بالسلام والاطمئنان وراحة البال، حرب مستعرة في شريط إخباريّ لا صوت له، هدوء لا يقطعه سوى صوت دولة رئيس الوزراء هادئاً يعلن الأمن والاستقرار.

الرجل على شرفته في قصة بوتزاتي، كما الرجل على منصته في قصتنا العراقية، كلاهما ليست لهما عيون تلتقط ما يحدث في الأسفل، سلامهما الشخصيّ ألا يسمعا أو يريا هذه المذبحة التي تقام قريباً منهما.

تحت المنصة أو تحت الشرفة يموت خلق كثير في ليلة مقمرة هادئة.

يا للسلام، يا للسكينة!

كاريكاتير

عادل صبري

عصر عدم القطبية والمستحيل الإستراتيجي

سلام الربضي

هنالك الكثير من الإشكاليات، التي تتعلق بالنظام العالمي والتغيرات الحاصلة، التي تتطلب محاولة استشراف مستقبل، وهوية هذا النظام، والفاعلين الأساسيين فيه، من زوايا مختلفة. وفي خضم هذا الواقع، يأتي مصطلح عصر عدم القطبية لُيعبر وفق منظريه، عن عالم ينتقل من نظام القطب الواحد، إلى نظام تنعدم فيه القطبية، بمختلف أشكالها، أو تصبح بلا معنى: الأحادية أو الثنائية أو المتعددة الأقطاب. وذلك، بسبب عوامل نوعية كثيرة، ثقافية واقتصادية وسياسية وغيرها.

وهذه العوامل أصبحت من سمات عصرنا الراهن، وستبقى سنوات غير قليلة. بل إن بعضها، هو اليوم من أهم محددات كثير من الشؤون العالمية والإقليمية، وحتى المحلية، في حالة بعض الأزمات المستفزة، لمنظومة قيم النظام السائد حالياً. فدخول البشرية في عصر الشبكة المعلوماتية، التي تولد صلات مدنية ومهنية ومعرفية، عابرة للحدود السياسية، والقارية والجنسية. كذلك، وجود الشبكات العالمية التفاعلية، بين مئات الآلاف من مؤسسات المجتمع المدني، ـــ من جمعيات ونقابات ـــ والصعود المطرد، لنجم وصلاحيات بعض المنظمات، جعل من المستحيل استراتيجياً، الحديث عن نظام ـــ دولي أو عالمي ـــ يتحكم فيه قطب واحد، أو عدة أقطاب يتنازعون السلطة حول العالم.

ويحاول الكثير من النخب، البحث عن سبل دعم موقع الولايات المتحدة الأمريكية في هذا النظام، من أجل الحيلولة دون الفوضى، التي قد ترافق هذا النظام. في حين يستمر آخرون في القول، إن الولايات المتحدة يمكن أن تواصل ممارسة دور قطبي عالمي، وإن كان مرد تراجعها عن موقع القطب الواحد، يعود إلى ظهور قوى جديدة على المسرح العالمي، أكثر مما يعود إلى ضعفها العسكري أو السياسي أو الاثنين معاً.

ففي الوقت ،الذي كان النفوذ الأمريكي حقيقة واقعة، لكنه، لم يستمر أو يستقر لأكثر من ١٥ أو ٢٠ عاما. وبمقياس التاريخ، تعتبر هذه مجرد لحظة، ووفقاً للنظرية الواقعية التقليدية، يجب التنبؤ بنهاية الأحادية القطبية وتفجير التعددية القطبية. والسؤال الصحيح الآن في نطاق البحث العلمي الأكاديمي وفقاً لبعض النخب الأخرى، ليس إذا كانت الصين سوف تصبح القوة العظمى عالمياً، بل متى؟؟؟؟؟

تبقى كثيرة هي التساؤلات الجوهرية، التي تشغل تفكير النخب على امتداد العالم، في مجالات السياسية والاقتصاد والبيئة، تسبر غور عوالم جديدة، تحمل في كل منها متعة إضافية، من متع استقراء مستقبل، الوقائع العالمية الحقيقية.

باحث ومؤلف في العلاقات الدولية